

علم الأخلاق عند ديفيد هيوم

M. Rusydi*

ABSTRAK

Tulisan ini menguraikan filsafat moral atau etika menurut David Hume. Hume dikenal sebagai seorang empirisisme. Paham inilah yang membentuk epistemologinya, sehingga lahir anggapan bahwa ilmu tersebut bersifat relatif, subyektif bukan obyektif. Hume juga menolak ide kausalitas dan substansi, sebab keduanya tidak bisa dibuktikan secara empirik, seperti tidak terlihatnya daya kausal dan substansi itu sendiri. Epistemologi ini mendasari pemahaman etika Hume bahwa etika adalah masalah perasaan. Perasaan ini muncul dari kesan yang dihasilkan oleh fakta empirik, sehingga Hume beranggapan bahwa hukum moral adalah tidak ada. Dengan kata lain, etika adalah masalah perasaan setuju dan tidak setuju atau senang dan tidak senang. Jika setuju dan senang maka itu baik dan begitu juga sebaliknya. Namun untuk menjaga agar tidak ada kesewenang-wenangan etis maka Hume beranggapan bahwa manusia memiliki sikap saling simpati yang dibangun diatas empat keutamaan. Agar ini semua bisa berjalan dengan lancar lalu diciptakanlah norma-norma tertentu dan dalam penerapan norma ini dilaksanakanlah pembiasaan-pembiasaan. Pembiasaan yang menjadi kebiasaan inilah yang menjadi seakan-akan terasa seperti hukum moral.

كلمات الرئيائية : التجريية, الوجدان, التعاطف, التعويد.

أ- المقدمة

هناك مذهبان مشهوران في عصر الفلسفة الحديثة, هما المذهب العقلي بالشخصيات البارزة مثل رينيه ديكارت¹, باروخ سبينوزا², غوتفريد لايبنتز³

*Penulis adalah Dosen Honor di Akidah Filsafat Ushuluddin IAIN Antasari dan Guru Honor di Pon-Pes Darul Hijrah.

¹ رينيه ديكارت René Descartes ولد (٣١ مارس ١٥٩٦ - ١١ فبراير ١٦٥٠) يعرف أيضا بكارتيسيوس *Cartesius* فيلسوف فرنسي و رياضياتي و عالم يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة . يعتبر أهم و أغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة . الكثير من الأفكار و الفلسفات العربية اللاحقة هي نتاج و تفاعل مع كتاباته التي درست و تدرّس من أيامه إلى

والمذهب التجريبيّ الموطنّ بإنكلترا. وكان فرانسيس بيكون^٤ مؤسساً له ثمّ إستمر عليه توماس هوبز^٥ وجون لوك^٦ وجورج باركلي^٧. وصل هذا المذهب

أيامنا. لذلك يعتبر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين وأحد مفاتيح فهمنا للتوراة العلمية والحضارة الحديثة في وقتنا هذا. بمجد اسمه بذكره في ما يدعى هندسة ديكارتية التي يتم بها دراسة الأشكال الهندسية ضمن نظام إحداثيات ديكارتي ضمن نطاق الهندسة المستوية التي تدعمها مع الجبر، الإقتباس من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، و لتكميل المعلومات أنظر يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة (مصر : دارالمعارف، ١٩٦٦) ص. ٣١-٣٩

² ولد سبينوزا Baruch Spinoza في عام ١٦٣٢م في أمستردام، هولندا، عن عائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيزين. كان والده تاجراً ناجحاً ولكنه متمزمت للدين اليهودي، فكانت تربية باروخ أورثودوكسية، ولكن طبيعته الناقدة و المتعطشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية و التلمود في يثيبيا (مدرسة يهودية) من ١٦٣٩ حتى ١٦٥٠م. في آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود. وفي صيف ١٦٥٦ نُبذ سبينوزا من أهله و من الجالية اليهودية في أمستردام بسبب إدعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله. بعد ذلك بوقت قصير حاول أحد المتعصبين للدين طعنه. من ١٦٥٦ حتى ١٦٦٠ اشغل كمنظاري لكسب قوته. ثم من ١٦٦٠ حتى ١٦٦٣ أسس حلقة فكر من أصدقاء له و كتب نصوصه الأولى. من ١٦٦٣ حتى ١٦٧٠ أقام في بوسرج و ثم بعد نشر كتابه رسالة في اللاهوت و السياسة سنة ١٦٧٠ ذهب ليستقرّ في لاهاي حيث اشغل كمشترار سرّي لجون دو ويت. في سنة ١٦٧٦ تلقى زيارة من الفيلسوف الألماني "لايبنتز". توفّي سبينوزا ١٦٧٧ في ٢١ أبريل. نفس المرجع ، اهتم كذلك بالكتابة يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. ١٠٦-١٢٠

³ غوتفريد فيلهيلم من لايبنتز (أيضاً لايبنتز) Gottfried Wilhelm Leibniz ١ يوليو (وفقالتاريخ جوليا ٢١ يونيو) ١٦٤٦ في لايبترغ - ١٤ نوفمبر ١٧١٦ في هانوفر) ألماني فيلسوف، عالم طبيعة، عالم رياضيات، دبلوماسي، مكثي، ومحامي. يرتبط اسم لايبنتز بالتعبير "دالة رياضية" (١٦٩٤)، التي كان يصف بها كل كمية متعلّقة ب منحنى، مثل ميل المنحنى أو نقطة معينة على المنحنى. يعتبر لايبنتز مع نيوتن أحد مؤسسي علم التفاضل و التكامل و بخاصة تطوير مفهوم التكامل وقاعدة الجداء، كما طور المفهوم الحديث لمبدأ انخفاض الطاقة. نفس المرجع، اقرأ أيضا يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. ٥٢-١٣٩

⁴ يعتبر فرانسيس بيكون Francis Bacon (٢٢ يناير ١٥٦١ - ٩ أبريل ١٦٢٦) فيلسوف ورجل دولة و كاتب إنجليزي، معروف بقيادته للتوراة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على "الملاحظة والتجريب". من الرواد الذين إنتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. نفس المرجع.

⁵ توماس هوبز Thomas Hobbes (٥ أبريل ١٥٨٨ - ٤ ديسمبر ١٦٧٩) كان عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي. يعد توماس هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني حيث كان بالإضافة إلى إشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، ففيها قانونيا ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقى. كما عرف بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورا كبيرا ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي (social contract). كذلك يعتبر هوبز من الفلاسفة الذين وظفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم. نفس المرجع، تنبّه كذلك يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. ٥١-٥٥

عصر الازدهار في عهد ديفيد هيوم، وعلاوة على ذلك نستطيع أن نعدّه كمفكر الفلسفة الوضعية قبل أوغست كونت⁶ كما هو المعروف، لإثته قد نقد تراث ماوراء الطبيعة الغربية مرارا و ردّ كثيرا كلّ ما وراء خالص الوقائع. وأثر هذا الرفض على فكرته في علم الأخلاق.

⁶ جون لوك John Locke (1632 - 1704) هو فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632 في رينجتون (Wroughton) في إقليم (Somerset) وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالبا مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684 بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيوريتاني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم يخترط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك أخذ في دراسة الطب وممارسة التحريب العلمي، حتى عرف باسم دكتور لوك. نفس المرجع، تنبّه كذلك يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. 141-151.

⁷ جورج باركلي (12 مايو 1685 - 14 يناير 1753) هو فيلسوف. من كتابته الفلسفة المشهورة بالموضوع "لا مادية". علم باركلي فيها أن الوجود هو ما أحس "Esse est percipi" - *to be is to perceived*. نفس المرجع. اقرأ كذلك يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. 162-167.

⁸ أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857) "يعتبر تلميذا لـ سان سيمون Saint Simon وهو فيلسوف فرنسي. أسس المذهب الوضعي القائل ان لا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة و الخبرة. أوغست كونت من مؤسسي علم الاجتماع. يرى كونت أن تاريخ البشرية ينقسم إلى ثلاث مراحل من التقدم الشامل، و المرحلة الدينية؛ والمرحلة الميتافيزيقية، ثم المرحلة العلمية. نفس المرجع. أنظر أيضا

Koento Wibisono, *Arti Perkembangan menurut Filsafat Positivisme Auguste Comte* (Yogyakarta: Gadjah Mada University Press, 1982).

ومعتمد على المذهب الوضعي، أراد كونت أن يجعل الدين الإنسانيّة (*religion of humanity*) التي تستند على الفكرة الوضعية فقط، مختلفا للأديان اللاتني تعتقدن بالإلهية و الآيات لا معقول عند كونت. لأنّ الإله يُبعد الناس من موجوديتهم و هذا يسببهم إلى ضياع إدراك قوّة أنفسهم.

M. Rusydi, *Teori Kritis Juergen Habermas dan Relevansinya dengan Fundamentalisme Islam* (Banjarmasin: Antasari Press, 2003) h. 53. J.B. Bury, *a History of Freedom of Thought*, terj. L.M. Sitorus, *Sejarah Kemerdekaan Berpikir* (Djakarta: PT. Pembangunan, 1963) h. 171. Karen Amstrong, *a History of God: from Abraham to the Present, the 4000 years Quest of Judaism, Christianity and Islam*, terj. Zainul Am, *Sejarah Tuhan* (Bandung: Mizan, 2001) h. 455-456.

ب- حياة ديفيد هيوم

ديفيد هيوم (1711-1778) هو الفيلسوف الإسكتلندي المشهور كأهم مفكر للمذهب التجريبي في القرن الثامن عشر. كان هيوم موظفا دبلوماسيا ووزيرا للسفارة في باريس. أهم قطعة ممتازة من كتب الفلسفة لهيوم هي "رسالة طبيعة الإنسان" *Treatise of Human Nature*, كتبت في السادس والعشرين من عمره. واصل هيوم مهنة الأدبية بعد رجوعه من باريس إلى موطنه إسكتلندا. وحين ذاك لخص وجدّد الكتاب المذكور بالموضوع "التحقيق عن فهم الإنسان" *Enquiry Concerning Human Understanding* و "التحقيق عن مبادئ الأخلاق"

Enquiry Concerning the Principles of Morals (1748-1751). أصبح هيوم رجلا معروفا بالشكوكي و المتحرر في الفكر و بالموالي والمتناقش في السياسة و بالموودة و الحلم في المعاملة. توفي في سنة 1776.⁹ و من ثمّ عرف أنّه حكيم ناشط ليس فقط على مستوى النظريّة بل كذلك على مستوى الفعل.

ت- ديفيد هيوم كمفكر المذهب التجريبي

أبحث عن بعض ما جاء في نظرية المعرفة وفقا لهيوم في هذه الفقرة. البحث يتوقف على أمرين, الأول: إعتقاد هيوم عن العلم, أهو نسبي أم مطلق؟, الثاني: رفض هيوم نظرية العليّة و الجوهر.

⁹ Roger Scruton, *from Descartes to Wittgenstein*, terj. Zainal Arifin Tanjung (Jakarta : PT. Pantja Simpati, 1986) h. 141.

أهمية هذين الباحثين هي لمعرفة طريقة الفكرة من هيوم و هذه تساعدنا في فهم نظريته في علم الأخلاق كثيرا.

١- العلم : نسبي أم مطلق ؟

المتافيزيقية هي شأن لافائدة فيها, شئ مجرد, والعقل أمر محدود. لانستطيع أن نفكر الله لأنه مطلق ونحن كالأإنسان مقيد. ولانقدر أن نعرف أو نشرح أين روحنا بينما ننام. هل هي تتحول؟ أو تستريح كما يرقد جسدنا؟ أم تفعل الأعمال الأخرى؟^{١٠} باختصار, لاحول ولاقوة لعقل البشر في رأي من خلال الميتافيزيقية إلا بهدمها إلى الأبد. هاهوذا إعتقاد ديفيد هيوم عن أمر ماوراء الطبيعة.

قال هيوم "الوقائع المحسوسة أمام الفكرة" أو في لغته المشهورة "Nihil est intellectu quod non antea fuerit in sensu".^{١١} من هذه العبارة نفهم أن العلم يبدأ من الحقائق الواقعية ثم تُنشأ ليس فقط الإدراك بل كذلك مبادئ العقل. وكيف البيان؟ بالإعتماد على رأي هيوم فإن فهم الإنسان يعمل على ثلاثة الشُّروط؛ مبدأ التشبيه, مبدأ التقريب و مبدأ العلية. مبدأ التشبيه هو تمثيل ما يفكر العقل بالأشياء التي قد لحظناها وأدركناها. النموذج, حينما نفكر بيت جميل فإن عقلنا سيصوّر لنا هذا البيت الذي قررناه جميلا من قبل الفكرة. أمّا مبدأ التقريب فهو يجعل الفكرة تقرب و تقارن بين ما في الذهن وما قد

^{١٠}قال تعالى :و يسألونك عن الروح. قل الروح من أمر ربي. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. الإسراء : ٨٥

^{١١}Dony Gahril Adian, *Matinya Metafisika Barat* (Jakarta : Komunitas Bambu, 2001) h. 3.

أحسنا من قبل. مثلاً، نفكر عن كتاب جيد فيوازن العقل بكل الكتب الجيدة اللاتي قرأناها حتى نعيّن إحديها كأحسن كتاب. والآخر، مبدأ العلية، وهو إدخال المسبب على المسبب و ظهور العلاقة بينهما كعاقبة لهذه الفعالية.¹² مثلاً، نتخيّل أنه قد أصابنا جرح شديد فتأوّه أحياناً، لأنّ قد شعرنا ألم الجرح فيما مضى. بناء على المبادئ السابقة فلا يمكننا أن نُنكر حاجة العقل إلى الخبرة المحسوسة كأساس الفكرة.

إن كان الاعتقاد كما هو المذكور - أن التّصوّر من الخبرة - فكيف إذاً تسيّر الطريقة؟ أجاب هيوم أنّنا لا بدّ لنا أن نفرّق بين الأثر و التّصوّر. الأوّل هو خبر المحسوس ظاهراً و باطناً، وأظهر من الثاني.¹³ و الثاني هو أمر مجرد ناتج من ارتباط الآثار.¹⁴ إذن من الخبرات المحسوسة جمع الذهن الآثار ثم جعلها تصوّراً.

¹²Lorens Bagus, "Kausalitas", *Kamus Filsafat* (Jakarta: PT. Gramedia Pustaka Utama, 1996) h. 399

¹³Bertrand Russell, *History of Western Philosophy and Its Connection with Political and Social Circumstances from the Earliest Times to The Present Day*, terj. Sigit Jatmika et. al., *Sejarah Filsafat Barat* (Yogyakarta : Pustaka Pelajar, 2002) h. 865.

للإعلام، أنّ بورتاند راسل (بالإنجليزية: Bertrand Russell) (١٨ مايو ١٨٧٢ - ٢ فبراير ١٩٧٠) فيلسوف ورياضي و كاتب إنجليزي يعد من أعظم الفلاسفة حصل على جائزة نوبل عام ١٩٥٠ بالإضافة إلى نوط الإستحقاق ذو القيمة الكبيرة والذي قلده إياه الملك جورج السادس عام ١٩٤٩ وجائزة سوننج من جامعة كوبن هاغن عام ١٩٦٠. كما كان ناشطاً بارزاً ضد الحرب و ضد الامبريالية كما شجع التجارة الحرة بين الشعوب. وتميز بكونه ناقداً ساخراً بالإضافة إلى كونه عالم إجتماعي دقيق كتب ما يزيد عن المائة كتاب والكثير من المقالات في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة والدين والأخلاق والجنس. ومات وعمره حوالي المئة عام في سنة ١٩٧٠. و من أعماله مبادئ الرياضيات و تاريخ الفلسفة الغربية و مشكلاتالفلسفة ومن أقواله "إن ميرر إحترام الأطفال لأبائهم لا يعد أقوى من ذلك الخاص باحترام الوالدين لأطفالهم فيما عدا أنه عندما يكون الأطفال صغاراً يكون الأباء أقوى من الأطفال". الإقتباس من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. وقد تُرجمت كتابته "تاريخ الفلسفة الغربية" إلى اللغة الإندونيسية بالموضوع كما المذكور، و مشكلات الفلسفة بالعنوان

Bertrand Russell, *the Problems of Philosophy*, terj. Ahmad Asnawi, *Pesoalan-Pesoalan Seputar Filsafat* (Yogyakarta : IKON TERITERA, 2002)

¹⁴ نفس المرجع

مثلا، نجد في حياتنا اليومية المواقف الكثيرة مثل بيت مربع أو مستدير الشكل و له بابان أو ثلاثة أبواب والألوان المتنوعة كالأصفر أو الأخضر. ثم نستطيع أن نلمسه ونشعر قوة أو ضعف بناءه، ويمكننا أيضا أن نشم رائحة دهانه و إلى غير ذلك. هذه الحوادث السابقة كلها تسمى خبر المحسوس ظاهرا و باطنا. وتحضر الآثار منها. ثم نتصور البيت مرتكزا على الآثار أن له أشكالا و ألوانا و أبنيات مختلفة. ها هي ذي الطريقة و العلاقة بين الخاطر أو التصور و الخبرة المحسوسة أو الأثر في رأي هيوم. و بتعبير آخر، أن التصور هو العملية النفسية في وصل و توحيد بيانات الخبرة. ولذلك عرف رأي هيوم بالمذهب النفسي "Psychologism".¹⁵

لأن العلم أمر نفسي و تتكون من المعلومات التجريبية، فهذه العملية تدل على أن علومنا تعتمد على قلة أو كثرة معرفتنا و لقاءنا بالأمور التجريبية. وتتغير هذه الأمور على نحو متواصل، مثل نمو الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشيخوخة و حتى الممات. هذا التطور يعبر عن التحول. و التحول يدل على أن العلم نسبي. الأسئلة : كيف رأي جاذبية الأرض؟ مثل: رمينا الحجر فسقط على الأرض. وهذه القاعدة تسير في كل مكان في العالم. أليس ذلك يدل على حزم موضوعية و عالمية العلم؟ بعبارة أخرى يمكننا أن نقول أن العلم مطلق لا نسبي، لأن رأي جاذبية الأرض لا يرد و أكيد حيثما كنا. قال هيوم :

¹⁵Franz Magnis Suseno, 13 *Tokoh Etika* (Yogyakarta : Kanisius, 1997) h. 124

ليست الحادثة تدلّ على مطلق العلم لكنّها تعبّر عن العادة فقط. قد تعودنا هذه الحوادث المُكرّرة طوال أيّامنا، كما في الجاذبيّة التي ذكرناها سابقا. و على الرغم من ذلك إذا جاء مخلوق من كوكب آخر إلى الأرض مثلا، ثمّ سُئل عن واقعة الجاذبيّة المذكورة. فيمكن أن يجيب خلاف ما ظننا، مثل عدم الجاذبيّة في القمر. وإجابته متوقّفة على العادة السّائرة في كوكبه. فلذلك لهيوم لا شكّ أنّ العلم مقيّد، نسبيّ، لا قطعيّ و لا مطلق.¹⁶

٢- نقد العليّة و الجوهر

ما العليّة؟ و ما الجوهر؟ العليّة هي العلاقة بين العلة و المعلول¹⁷ أو عمليّة ظهور العاقبة من السّبب، مثل : أضربك فتغضب، فغضبك هو عاقبة من سبب ضربي. بعبارة أخرى نقول إنّ سبب الضّرب يحدث الغضب. ثمّ الجوهر هو ما قام بنفسه، فهو متقوم بذاته و متعين بماهيته، و به تقوم الأعراض و الكيفيات و يقابل العرض.¹⁸ أو نقول هو حقيقة كلّ شيء و وثق به غيره. ردّ هيوم هاتين المسألتين إلّا الأمور التجريبيّة. لأننا لا نحسّ قوّة العليّة و ذات الجوهر. ضربت كُرّة لعبة البليارد كُرّة غيرها، فتتحرك الكُرّة المضروبة

¹⁶Dony Gahril Adian, *Matinya Metafisika Barat*, h. 35-37. Franz Magnis Suseno, *13 Tokoh Etika*, h. 124-125.

¹⁷مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي (القاهر: الهيئة العامة لشئون المطابع الإسلامية، 1979) ص. 123

¹⁸نفس المراجع، ص. 64

وتقف الكرة الضاربة. في رأي المذهب العليّ، أنّ هذه الواقعة تُسمّى بالعلية، لأنّ الكرة الأولى تسبّب حركة الكرة الثانية. فسأل هيوم : أين القوة المسيّبة؟ غير موجود، ولا نجدّها إلاّ كرتين متصادمتين فتحركت الكرة ووقفت الأخرى. وجرت السّابقة في مسألة ذات الجوهر، لا نقلى الذات حسّيًا وتجريبيًا إلاّ الأجزاء الموثوقة بالذات. والإستنباط أنّ العلية و الجوهر من العادة النفسية فقط.¹⁹

ث- علم الأخلاق هو الوجدان : على الطريقة التجريبيّة الوصف الآتي يُحقّق الإرتباط بين نظرية المعرفة عند هيوم كما هو المذكور و علم أخلاقه.

ينقسم الوصف إلى قسمين، الأول: ردّ هيوم الأمر الأخلاقي "Moral Imperative" ، لعدم وجود المعطيات الواقعية ولكنه أعطى حلاًّ خيارياً بالتعاطف. الثاني : موافقته على أن التعاطف هو أساس تحريك فعل خيرات الإنسان إلى غيره والمحافظة عليه بالتعويد. والشّرح كما التّالي:

1- الأمر الأخلاقي هو الأمر المستحيل

الأمر الأخلاقي هو الذي يوجبنا على فعل الخيرات و ينهانا عن السيئات. لا يمكن وجود الأمر الأخلاقي، عند هيوم، لأننا لا نراه حسّيًا إلاّ وجدان أو شعور الإتفاق أم الفخر أم البغض أم الغضب أم السرور أم الحزن

¹⁹ Franz Magnis Suseno, 13 Tokoh Etika, h. 125.

ومأشبه ذلك. إذا قلنا "لابدّ لنا أن نعمل الخيرات و نتجنب السيئات" فالكلمة "لابدّ لـ..." هي كلمة زائدة فقط, ولكن لا تُوجد داخل خبراتنا.

وحضور الوجدان هو عملية النفس. و عملية النفس هي الة تقرّر الخيرات والسيئات. المثال : أقول إنّ "المساعدة" من الأخلاق المحمودة و "القتل" من الأخلاق المذمومة, لأني أرغب في "المساعدة" ولا أرغب في "القتل". والبيان : حينما ساعد رجل شيخا ضعيفا فوقع في قلبي شعور المحبة و الإتفاق و مناصرة قضية الرجل على الشيخ. فلذلك أقول إنّ "المساعدة" من الأخلاق المحمودة. والعكس, عند ما قتل القاتل أحدا فأتى وجدان الإنكار و الردّ و الكره بما فعل القاتل و الأسف على المقتول. فلذلك أقول "القتل" من الأخلاق المذمومة. وظهور سائر الأحوال السابقة معتمد على الوقائع المحسوسة مثل رؤية مسك الرجل يد الشيخ و لمس أو رؤية دم المقتول و سلاح القاتل ومأشبه ذلك. و النتيجة أنّ الوجدان هو حصيللة عملية النفس وهو المعين للأفعال. بعبارة أخرى, إذا رأي الوجدان أنّ القتل خير و المساعدة شرّ فيمكننا أن نعبر أنّ القتل هو من الخيرات و المساعدة من السيئات.

والعاقبة من الرأي السابق أنّ لا نستطيع أن نجد مبادئ الأخلاق العالميّة. كلّ شخص له نظرة مختلفة عن الخيرات و السيئات. ربما أقول إنّ "الإكرام" خير و يخالف الآخر ذلك, وأقرر أنّ الكذب من المعاصي ولكن ينكر غيري ذلك وهكذا. إذا الأخلاق هو أمر تفصيلي, فردي, جزئي. السؤال : فلماذا يتفاعل

بين الناس الخير ويتظاهره بعضهم بعضا مع أن الأخلاق هو أمر تفصيلي؟
أجاب هيوم, لأنّ الناس لهم شعور التعاطف.

٢- التعاطف و التعويد للأخلاق

قال أرسطو الإنسان حيوان اجتماعي "zoon politikon", وهذه صفة خاصة لهم. ونظر هيوم أن الصفة ظهرت من التعاطف بين الناس. فلذلك معقول أن يجزن أحد حينما يري المظلوم مثلا. و نستطيع أن نستنبط أن للبشر حبّ الإشتراك و التعاطف.

ثمّ بنى الناس الفضائل بينهم للمحافظة لتحقيق الصفتين الفطرتين المذكورتين و مصالحهم. الفضائل من الأعلى إلى الأدنى هي: العمل الأخلاقي المفيد للمجتمع كالعدالة, ثمّ العمل الأخلاقي النافع للفرد مثل الأديب و المجتهد, ثمّ العمل الأخلاقي المفرح للغير مباشرة مثل إطاعة النّظام و الإحترام, ثمّ العمل الأخلاقي المباشر للنفس مباشرة مثل السرور و الشّجاعة و الطمأنينة. ولدمج الفضائل في أنفسهم فيجعلون "التّعويد" في طاعة النّظم أو القوانين واجتناب نواهيها. فيهتمّ الناس بينهم و غيرهم معتمدين على القوانين ولو خالفت إرادة أنفسهم أحيانا. ثمّ من آن إلى آخر يكون التّعويد كالأمر الواجب أو كالأمر الأخلاقي.²⁰ هكذا تكوين الإلزام الأخلاقي عند هيوم. فلذلك يُفهم اعتقاده أن الأمر الأخلاقي هو أمر مستحيل.

²⁰ نفس المراجع

ج- الأفكار

١- قدّر هيوم أنّ علم الأخلاق هو أمر نفسيّ. و قد بين الأمور الحائّة على الأعمال ولكنه لم يشرح الأعمال اللائقة و الغير الملائمة. بعبارة أخرى أنّه لم يتكلّم عن علم الأخلاق على نحو عميق مع أن علم الأخلاق هو علم للتساؤل و التدقيق في كل الأعمال المحمودة أو المذمومة, و الصّحيحة أو الخاطئة و البحث عنها بطريقة عميقة و منظمّة,²¹ وليس البحث عن الحثّ على الأفعال فقط.

٢- اعتقد هيوم أنّ الناس جعلوا التّعويد لنموّ التعاطف بينهم. ولتطبيق التّعويد نفذوا القوانين. إذا نستطيع أن نعتبر أنّ هيوم قد اعترف بصورة غير مباشرة بعلم الأخلاق الموضوعيّ لأنّ نظم التّعويد أسّست على الفضائل و الفضائل كالعادلة ليست فقط شيئاً محبباً كما نظره هيوم بل كذلك فطرة الناس. و هذا يخالف رأيه الذي يؤمن بأنّ علم الأخلاق هو أمر نفسيّ أو ذاتيّ.

٣- أخيراً و ليس آخرها, نظر هيوم أنّ العلم الصّحيح من الخبرة فقط ينقص مرتبة الإنسانية, لأنّ الإنسان يتكوّن من شيئين :

²¹ Lorens Bagus, "Etika", *Kamus Filsafat* (Jakarta: PT. Gramedia Pustaka Utama, 1996) h. 217.

الجسد و الروح, وهذا يدلّ على العالمين هما العالم الظاهر
"phenomena" و العالم الباطن "noemena". والخبرة تقع
في العالم الظاهر فقط. ثمّ أين منزلة العالم الباطن للإنسان عند
هيوم؟ غير موجود. فلذلك نقد كانط²² نظرية معرفة هيوم
في كتابه الشهير "نقد العقل النظري"
Kritik der reinen Vernunft و قال إنّ للعلم ثلاث طبقات
(من الأدنى إلى الأعلى) : الإدراك الحسيّ
"Sinneswahrnehmung", ثمّ العقل "Verstand/Reason" ثمّ
العقل الباطن "Vernunft/Intellegence".²³ الأوّل و الثاني
يهتمّان بالعالم الظاهر و الثالث يلتفت إلى العالم الباطن.

²² إيمانويل كانط Immanuel Kant (٢٢ أبريل ١٧٢٤ - ١٢ فبراير ١٨٠٤) فيلسوف وعالم ألماني برز في كل من المجالات التالية، الفيزياء الفلكية، والرياضيات، والجغرافية، وعلم الإنسان. يعتبر أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث والفيلسوف الرئيسي الأخير في العصر التنوير. عرف كانط التنوير، في مقالته الشهيرة ما هو التنوير؟، على أنه عصر تشكل تحت شعار: الجرأة من أجل المعرفة، مما غمى نمطاً من التفكير الداخلي خال من قواعد السلطة الخارجية. ألف كتاب نقد العقل الخاضع، وهو كتاب شهير تناول العديد من المواضيع التي تبرز أفكار كانط بطريقة واضحة. كان لكانط تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر. كما شكل عمله نقطة بداية لعلافة القرن العشرين. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. . إقرأ كذلك يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص. ٢٠٨-٢٥٧

²³ تسوية المعاني السابقة إلى العربية من إجتهد الكاتب. والتسوية معتمدة على شرح ليلى جهادي في كتابه "الأمر الأخلاقي من كانط". إذا لاتزال التسوية محتاجة إلى النقد و الإصلاح. للمقارنة، أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص. وانظر كذلك Lili Tjahjadi, *Hukum Moral Ajaran Immanuel Kant tentang Etika dan Imperatif Kategoris* (Yogyakarta : Kanisius, 1991) h. 36-39, 43.

ح- الإختتام

بُني علم الأخلاق عند هيوم على نظريّة المعرفة التجريبيّة. فلذلك إعتمد علم أخلاقه على الوجدان و الوجدان هو المعلومات التجريبيّة. ثمّ حقّق هيوم لو أن الوجدان أمر ذاتيّ, بل إن للنّاس صفة التعاطف بينهم, و بهذه الصّفة يقدّمون الحسنات على السيّئات. و لنموّ التعاطف جعلوا تعويد طاعة النّظم المعينة كوسيلة.

والله أعلم بالصّواب

المراجع

مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الإسلامية، ١٩٧٩

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة مصر، دارالمعارف، ١٩٦٦ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

Amstrong, Karen, *a History of God: from Abraham to the Present, the 4000 years Quest of Judaism, Christianity and Islam*, terj. Zainul Am, *Sejarah Tuhan*, Bandung, Mizan, 2001

Bagus, Lorens, *Kamus Filsafat*, Jakarta, PT. Gramedia Pustaka Utama, 1996

Bury, J.B., *a History of Freedom of Thought*, terj. L.M. Sitorus, *Sejarah Kemerdekaan Berpikir*, Djakarta, PT. Pembangunan, 1963.

Gahral Adian, Dony, *Matinya Metafisika Barat*, Jakarta, Komunitas Bambu, 2001

Magnis Suseno, Franz, *13 Tokoh Etika*, Yogyakarta, Kanisius, 1997

Russell, Betrand, *History of Western Philosophy and Its Connection with Political and Social Circumstances from the Earliest Times to The Present Day*, terj. Sigit Jatmika et. al., *Sejarah Filsafat Barat*, Yogyakarta, Pustaka Pelajar, 2002

Russell, Betrand, *the Problems of Philosophy*, terj. Ahmad Asnawi, *Pesoalan-Persoalan Seputar Filsafat*, Yogyakarta, IKON TERITERA, 2002

Rusydi, M., *Teori Kritis Juergen Habermas dan Relevansinya dengan Fundamentalisme Islam*, Banjarmasin, Antasari Press, 2003

Scruton, Roger, *from Descartes to Wittgenstein*, terj. Zainal Arifin Tanjung, Jakarta, PT. Pantja Simpati, 1986

Tjahjadi, Lili, *Hukum Moral Ajaran Immanuel Kant tentang Etika dan Imperatif Kategoris*, Yogyakarta, Kanisius, 1991

Wibisono, Koento, *Arti Perkembangan menurut Filsafat Positivisme Auguste Comte*, Yogyakarta, Gadjah Mada University Press, 1982.